

شهادة خاصة : الدكتور علي صالح كرار

دار الوثائق القومية – الخرطوم.

د. إخلاص مكاوي

مقدمة:

هذا المقال جاء تحت عنوان (شهادة خاصة) لأنه كان نتاج حلقة في برنامج (شهادات خاصة - الإذاعة القومية)، وقد تحدثت فيه عن الراحل المقيم د. علي صالح كرار طبيب الله ثراه، وقد استعنت بمعلومات ذكرها بروفييسور أحمد إبراهيم أبو شوك الذي كان زميلي وزميلًا وفيًا وأخًا كريمًا رافق د. علي صالح في دار الوثائق، ثم ظل متابعاً معه في كثير من الأنشطة العلمية والثقافية المتنوعة. ولد الدكتور علي صالح بقرية نوري مركز مروي بالشمال عام 1948م، وكان والده مهندساً بمصلحة النقل الميكانيكي تطلب عمله التنقل في مناطق مختلفة في البلاد، مما جعل د. علي يتلقى تعليمه في كل المراحل في تلك المناطق، ثم التحق بجامعة الخرطوم كلية الآداب عام 1971م، وقد كان متميزاً وناصباً في كل مراحل دراسته.

حصل علي صالح علي درجة ماجستير الآداب في الدراسات الأفريقية والآسيوية، وكانت أطروحته بعنوان: آثار التعليم الإدرسية في الطرق الصوفية في السودان: ونسبة لتفوقه الأكاديمي تم إبتعائه عام 1981م إلى جامعة بيرقن بالنرويج، فنال درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، وجاءت أطروحته تحت عنوان: **الطرق الصوفية في السودان حتى عام 1900م** بنظرة خاصة لمنطقة الشايقية. وكان قد أشرف عليه ب. أوفاهي الذي أشاد به وباجتهاده وتفوقه العلمي.

التحق د. علي صالح بالعمل بدار الوثائق في وظيفة مفتش وثائق وهي مدخل الخدمة، فيها ثم تدرج حتى شغل وظيفة نائب الأمين العام عام 1995م خلفاً للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، والذي تم تعيينه مستشاراً مهنيًا للدار ومشروع المباني الجديدة، وهي المباني الحالية الواقعة على شارع السيد عبد الرحمن المهدي.

بمناسبة تعيين د. علي صالح أميناً عاماً للدار، كتب له ب. أحمد إبراهيم أبوشوك: (الحمد لله الذي وفق وزير شؤون الرئاسة في اختيار شخصكم لرئاسة دار الوثائق القومية، لأن في ذلك تثميناً لرسالة الدار وتقديراً لجهد القائمين على أمرها، ولا شك في أنه إجراء سليم جاء نتيجة تمحيص وتمحيص دقيقين استندت محصلتها إلى مؤهلكم العلمي، وخبرتكم الطويلة التي ثقت بها التجارب في مجال الوثائق والأرشيف والعلوم المساعدة لهما. أخي علي لا أخالني في حاجة إلى التذكير بأن هذا الاختيار قد صادف أهله وأنه عبارة عن خطوة في بداية مشوار طويل وشاق ومحفوف بالتحديات التي في ضوئها سيقاس عطاؤكم الحقيقي. وأذكر على سبيل المثال مشروع مباني دار الوثائق (الحلم المنتظر)، وتحسين شروط خدمة العاملين، ومواكبة التطور التكنولوجي الذي يشهده عالمنا الحاضر في مجال المعلومة الصحيحة الموثقة)، أخوك أحمد إبراهيم أبوشوك، بيرقن 1 فبراير 1995م.

هكذا خاطب بروفيسور أحمد إبراهيم أبوشوك زميله وصديقه د. علي صالح كرار، وقد لمس الأهمية والمهام. فكتب د. علي صالح رداً على بروفيسور أحمد إبراهيم أبوشوك والذي كان وقتها يعمل بالجامعة الإسلامية في ماليزيا:

(العمل بدار الوثائق يسير نحو الأفضل رقم شح الإمكانات، التدريب مستمر، حصلنا على عدد من أجهزة الحاسوب وقدمت مشروعاً لليونسكو لدعم الدار بأجهزة متطورة لتخزين واسترجاع المعلومات).

لقد عُرف د. علي صالح بنشاطه العلمي والثقافي بجانب أنه كان يُخطي بثقة كبيرة لدى كل الأوساط والذين تعامل معهم وعرفوه، وتمتع بثقة وحب طلاب الجامعات والدراسات العليا، فكان كل أولئك يتسارعون لإشراكه في كل نشاط علمي وثقافي، ولم يحدث أن رد طلباً للانضمام لأي نشاط، ولم يعرف عنه أنه اعتذر عن أي مشاركة، رغم ظروفه الصحية في الفترة الأخيرة لم يرغب عن الساحة العلمية والثقافية، بل جاء لحضور محاضرة ب. أبو شوك في قاعة كلية الهندسة بجامعة الخرطوم وهو قادم من المستشفى ومغادراً للعلاج بالخارج. وكانت آخر مرة نراه فيها، فقد كان مودعاً.

نال د. علي صالح عضوية عديد من اللجان والأنشطة، على سبيل المثال لجنة النشر بالفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، والنادي العربي للإحياء الثقافي. وقد كان مشاركاً في جميع أنشطة الفرع الإقليمي العربي للأرشيف والمجلس الدولي للأرشيف حتى عام 2006م. عمل د. علي صالح أستاذاً متعاوناً ومشاركاً في أكثر من جامعة ومؤسسة أكاديمية، كالجامعة الأهلية وجامعة النيلين، وأستاذاً زائراً ومنسقاً لبرنامج التعاون مع جامعة بيرقن في الفترة من 1985- 1996 م. وقد سخر علمه وخبرته في كثير من السمنارات والمؤتمرات داخل وخارج السودان، وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية، وكذلك مناقشاً في مجال الوثائق والأرشيف والتوثيق والتاريخ. وإلي جانب عمله أميناً عاماً لدار الوثائق القومية كانت مشاركته في كل الأنشطة تهدف للإرتقاء بالأداء المهني، فكان رئيساً للجنة توثيق تجربة المصارف في النظام الإسلامي في السودان تحت رعاية بنك السودان والبنك الإسلامي بجدة، ومستشاراً بمركز توثيق مفوضية الانتخابات بالسودان لسنة 2014م، كما مثل السودان لعدة سنوات في الهيئة العربية المشتركة للتراث بجامعة الدول العربية والفرع الإقليمي العربي للوثائق التابع للمجلس الدولي للأرشيف، كما قام بتوثيق تجربة هيئة الطيران المدني في السودان.

في يوليو عام 2007م صدر قرار جمهوري بنقل د. علي صالح كرار من دار الوثائق القومية إلى قسم المكتبات والوثائق بجامعة النيلين بكلية الآداب وتعيين د. كبشور كوكو قمبيل أميناً عاماً لدار الوثائق القومية، وفي هذا الصدد أذكر ما قاله ب. محمد إبراهيم أبو سليم عندما طلب منه أحد الأساتذة في جامعة ما أن يسمح بنقل د. علي صالح ليعمل أستاذاً فيها: قال أبو سليم: (من السهل أن تجد أستاذاً جامعياً لكن من الصعب أن تجد وثائقياً، ود. علي صالح وثائقي ولن أفرط فيه، ولن أسمح بنقله، وأنا حريص على بقائه في عمله بالدار).

لقد كان د. علي صالح مهموماً بتطوير دار الوثائق، ساعياً لتحسين أوضاع العاملين فيها، واجتهد في تدريبهم داخل وخارج السودان، ولذا فقد كان ذلك القرار صادماً لكل العاملين في الدار

عدا الذين سعوا في نقله منها دون مراعاة للمصلحة العامة.

جاءت ردود الأفعال من الحاديين على الوثائق والحفاظ عليها وعلى قوميتها، فكتبت ب. فدوى عبد الرحمن علي طه: (عانت الدار ما عانت بعد إحالة علي للمعاش وتسييس المنصب دون مراعاة للخبرة، راعوا أن دار الوثائق من أهم مؤسسات الدولة إن لم تكن أهمها، وتذكر مؤسس الدار محمد إبراهيم أبو سليم، ونأتي بأمناء مؤهلين وأصحاب خبرة ودراية في إدارة الوثائق والأرشيف). والواقع أن أبو سليم كان يختار وينتقي خريجين متميزين، لذلك حظيت الدار بكفاءات ممتازة أكاديمياً وعلمياً، فتميزت بدقة العمل الوثائقي، وتوفير المعلومات المطلوبة بكل سهولة ودقة رغم شح الإمكانات. وحرص أبو سليم على ابتعاث الموظفين للتأهيل والتدريب داخل وخارج السودان، وكان من أبرزهم د. علي صالح، فقد كان تلميذه وعونه في كثير من الأعمال العلمية.

رغم كل ما واجه د. علي صالح من مشاكل وعقبات إلا أنه ظل وفياً للدار وللوثائق والعاملين فيها، وتواصلت علاقاته بالدار، وتم تعيينه رئيساً لمجلس إدارتها بموجب قرار مجلس الوزراء الانتقالي رقم (537) لسنة 2020م، والذي شُكِّلت عضويته من ب. يوسف فضل حسن، وب. حسن أحمد إبراهيم، وب. فدوى عبد الرحمن علي طه، وب. علي عثمان محمد صالح. كانت بحوثه وكتاباته تمتاز بالمصداقية والبحث الدقيق والتوثيق الكامل لكل المعلومات، حريصاً على مصادرها، مما أهله لنشر مؤلفاته باللغتين العربية والإنجليزية منها:-

الطريقة الإدريسية في السودان - دراسة من واقع الوثائق والمخطوطات.

تحدث في هذا الكتاب عن الشيخ أحمد بن إدريس موضحاً دوره ومكانته في قائمة المفكرين الذين حملوا لواء حركة التجديد الإسلامي، فقد أسس مدرسة صوفية فكرية مستقلة لها نزعة إصلاحية تميزت بسهولة تعاليمها وبساطتها. وأورد في الكتاب الأصول الفكرية للطريقة الإدريسية، وتطورها، ودخولها السودان، كما أوضح أروادها، وأحزابها، وصلواتها، وتعاليمها، وكيفية قراءتها، والشروط التي يجب أن تتوافر في المريد. وتناول مؤلفات الشيخ أحمد بن إدريس محلاً للآثار الفكرية والاجتماعية والسياسية للطريقة، ولذلك عدّه ب. أبو شوك رائداً في مجال الأدبيات التي كتبت عن الطريقة الإدريسية كما ذكر. أما كتابه:

الطرق الصوفية في السودان حتى عام 1900م:

فقد قدم فيه إضاءة لنمطين من حركات التصوف في السودان، تمثلت في الطريقة القادرية والشاذلية، وتحدث عن الطابع المركزي والطابع القيادي المركزي، وركز على الطريقة الختمية في منطقة الشايقية. واعتمد على الروايات الشفاهية، والوثائق غير المنشورة، مما أعطى الكتاب قيمة علمية عالية، لأنه كان ماهراً في استخدام تلك الروايات، وهذه ميزة لا تتوافر لدى كل باحث. لقد كان د. علي صالح يتناول الطرق الصوفية في دراساته بشكل علمي، معتمداً على الوثائق والمخطوطات مدخلاً للبحث في مجال دراسة الصوفية والتصوف، أمثال بروفيسور أوفاهي الذي كتب: الولي الغامض أحمد بن إدريس: وكتب كنود بيكر: محمد بن علي السنوسي: وكتب البرشت: الشيخ محمد المجذوب: وكتبت كاترينا بانق: المتصوفة وعلماء البحر. وكتب مارك هرفك: ورثة أحمد بن إدريس.

لقد تمتع د. علي صالح بشخصية مرنة متسامحة، واتضحت مرونته في تربيته لأبنائه، فهو مربٍ فاضل إلتفت أولاده حوله، وكذلك أحفاده الصغار، كان يلاعبهم ويتعامل معهم بكل رفق، ويشارك الصغار ألعابهم، ويحكي لهم القصص والحكايات، وهم مازالوا في أطوارهم الأولى، وتميز بالهدوء رغم العواصف التي مرت به، كما تميز بالتواضع وهو عالم وهذه صفة العلماء. كان دقيقاً في كل أعماله، كان حليماً عفواً متسامحاً، وكان يتمتع يشفافية نادرة يستطيع قراءة من حوله ويستشف دواخلهم. كان ذكياً تمتع بسرعة البديهة والمرح والسخرية البريئة، يستطيع أن يخلق الطرفة قي لحظة.

من مواهب د. علي صالح تميز بالخط الجميل، وكان مصمماً حاذقاً. وذكر أن بروفيسور شيرين عندما رأى خطه قال له: مكانك يا علي هنا معنا في كلية الفنون. وظهرت دقة تصميمه وخطه في كتاب أبو سليم: الختم الديواني، فقد قام برسم كل الأختام بدقة من مصادرها في الوثائق، ورغم أن اسمه لم يرد في ذلك المجهود، إلا أنه أثر الصمت ولم يحتج لثقتة بنفسه ومواهبه. تميّز د. علي صالح بمقدرة عالية في الكتابة، يتضح ذلك في أوراقه العلمية وأطروحاته الأكاديمية وكتبه، ويستطيع اختصار كمية من المعلومات في نطاق ضيق جامعاً كل الأفكار والمعلومات الواردة بشكل ممتاز دون الإخلال، بحيث لا يفقد النص محتواه. وهذه مقدرة وكفاءة نادرة. كان رحيل د. علي صالح فاجعة لكل من حوله. قال في ذلك ب. أحمد إبراهيم أبو شوك:- (أجمع أصدقائه وزملائه ومعارفه وطلابه على حسن خلقه الرفيع، وأدبه الجم، وتواضعه الفطري، وابتعاده عن الأضواء التي يكثر فيها الهرج السياسي والصراع الحزبي).

قالت عنه ب. فدوى عبد الرحمن علي طه: (لقد كان نقياً يحمل قلباً أبيضاً وعالمًا بمعنى الكلمة وخبيراً في مجاله. حفظ دار الوثائق من عبث العابثين فعزلوه عن أمانتها، كتب وألّف ودرّس وأشرف. حقيقة لا أقوى على قول أكثر من ذلك، وتكالب وهجم علينا الحزن من كل إتجاه). قال السفير د. خالد فرح: (رحم الله أستاذنا العالم المحقق، والباحث الحاذق، والإنسان المهذب والخلوق، بروفيسور علي صالح كرار، الأمين العام الأسبق لدار الوثائق القومية، وأستاذ التاريخ بالجامعات السودانية).

كاثرينا بانق كانت صلة بين د. علي صالح وزملائه بجامعة بيرقن بالنرويج، قالت: (يأتي رحيل الأستاذ علي صالح كرار على رأس كل الأنباء المحزنة من السودان، وبرحيله أصبح العالم أكثر فقرًا. كان شخصاً لطيفاً استثنائياً، وصديقاً حقيقياً، ومؤرخاً ممتازاً، ومتفانياً، وكانت معرفته بالنسبة لي نعمة من نعم الحياة).

لقد انطوت صفحة مهمة في تاريخ دار الوثائق برحيل الخبير العالم في مجاله المثقف ذو المعارف الواسعة والمعين الجاد لكل الباحثين الذين استعانوا بالوثائق في دارها، وفي أماكن تواجدها حتى خارج السودان.

رحم الله الأخ الزميل والصديق الدكتور علي صالح كرار برحمته الواسعة مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً وألهم أسرته وأهله ومعارفه وزملائه الصبر وحسن العزاء.